

منظومات المدرسة الفقهية المالكية الأندلسية المغربية

الدكتور عبد الرحيم نمازي¹

من الأساليب التي خدم بها المذهب المالكي العلوم والفنون النظم التعليمي لأنه أسهل للحفظ وأثبت في الذهن؛ ولأن من حفظ المتون حاز الفنون.... وهكذا، فقد كانت المدرسة الفقهية المالكية الأندلسية المغربية من أوائل من استعمل النظم التعليمي في الفقه. حيث خص بعضهم بعض الأبواب الفقهية بالنظم كما نظم البعض الآخر في كل الأبواب؛ بينما نظم فريق ثالث في القواعد والنظائر الفقهية. وهذه المنظومات كثيرة منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط، ومنها ما شرح الشروح عديدة وعليه حواشي مفيدة.

فمن هذه المنظومات في فقه العبادات:

1. "أرجوزة الولدان في الفرض والمسنون" أو "المقدمة القرطبية" ليحيى القرطبي (ت 567).

قال في مقدمته لها:

وبعد حمد الله يا إخواني	فهذه أرجوزة الولدان
نظمتها في الفرض والمسنون	ليعلموا منها أصول الدين

وقد شرحها² أحمد زروق البرنسي (ت 899).

2. "المرشد المعين على الضروري من علوم الدين" لابن عاشر الأندلسي الفاسي (ت 1040).

¹ - أستاذ التعليم العالي بكلية الشريعة- فاس. جامعة القرويين.
² - تحقيق الدكتور أحسن زقور. دار ابن حزم. بيروت الطبعة الأولى 1426 - 2005.

وهو منظومة فقهية تتناول جانب العبادات في المذهب المالكي للمبتدئين والعوام.

يقول عبد الواحد بن عاشر مبتدئاً باسم الإله القادر
وبعد فالعون من الله المجيد في نظم أبيات للأمي تفيد
في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك
وشروحه كثيرة منها المطبوع والمخطوط:

- "الدر الثمين والمورد المعين" لميارة الفاسي (ت 1072).

- "إرشاد المريدين لفهم معاني المرشد المعين"³ لعلي بن عبد الصادق العبادي (ت 1138).

- "كتاب مفيد العباد سواء العاكف فيه والباد"⁴ لأحمد بن البشير القلاوي (ت 1276).

- "العرف الناصر في شرح وأدلة فقه متن ابن عاشر"⁵ المختار ابن العربي مؤمن الجزائري ثم الشنقيطي.

وقد ترجمت المنظومة إلى اللغة الفرنسية⁶.

3. "بغية الطالب النبيل بنظم قسم العبادات من مختصر سيدي خليل"⁷.

عبد العزيز بن صالح العلجي المالكي (ت 1362).

ومن المنظومات في فقه المعاملات:

1. "القلاند المنسبكات من أحكام الذكاة"⁸

لأبي عبد الله محمد العربي بن يوسف الفاسي، والتي جاء فيها:

هذا بحمد الله نظم في الذكاة قلاند الفتوى به منسبكات

³ - طبعته جمعية الدعوة بليبيا سنة 2001.

⁴ - طبعه المجمع الثقافي بأبوظبي بالإمارات العربية المتحدة.

⁵ - دار ابن حزم. بيروت. الطبعة 1 سنة 1425 - 2004.

⁶ - l'essentiel de la religion musulmane.

[http : //deux.orient.com/essentiel/](http://deux.orient.com/essentiel/)

⁷ - الدليل إلى المتون العلمية. عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم. دار الصميعي للنشر والتوزيع. ط 1 / 1420 - 2000 الرياض السعودية.

⁸ - المجموع الكبير من المتون ص: 314، وكشاف الكتب المخطوطة بالخرانة الحسنية ص: 437.

2. "أرجوزة عبد الله الهبطي"⁹.

وهي منظومة فقهية في أقسام العدة وأحكامها والحيض والرضاع. وقد شرحها¹⁰ أبو القاسم بن علي بن محمد بن خجو (ت 956).

3. "منظومة في النكاح وتوابعه"

لعبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري¹¹.

4. "منظومة في البيع والقرض والشركة"

لأبي القاسم بن محمد المدغري¹².

وأفرد فقهاء الأندلس والمغرب علم الفرائض بأرجوزات عديدة¹³.

ومع هذا فقد كانت لبعض المنظومات مكانة متميزة لقيمتها العلمية كما هو شأن:

1. "التلمسانية في الفرائض".

الفقيه الفرضي أبو إسحاق إبراهيم بن أبي بكر التلمساني البيري.

وقد أشار ناظمها إلى سبب نظمه لها حيث قال:

وبعد أيها الأخ الصفي	الأخلص المكرم الوفي
فإنه لم تأل في تذكيري	لصالحات العمل المبرور
مؤملاً حصر أصول الإرث	حثثت في ذلك أي حث
في رجز يحصرها ويجمع	إذ هو في سمع العقول أوقع.

⁹ - المجموع الكبير من المتون ص: 328 دار الفكر. ط 3 / 1408 - 1988.

¹⁰ - قراءة وتعليق عبد الله بن طاهر. مجلة المذهب المالكي العدد 6.

¹¹ - كشف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية ص: 442.

¹² - كشف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسنية ص: 436.

¹³ - "أرجوزة في الفرائض لأبي زكرياء الأندلسي. مخطوط الخزانة العامة بتطوان ضمن مجموع رقم 844.

- أرجوزة في الفرائض لابن عطية الونشريسي. مخطوط الخزانة العامة رقم 115 ج.

- منظومة الخزرجية في الفرائض. مخطوط الخزانة العامة رقم 1081 ق.

- منظومة في وصية التنزيل لابن القاضي. مخطوط الخزانة العامة بتطوان رقم 580.

- أرجوزة في الفرائض لابن سودة. مخطوط الخزانة العامة بتطوان رقم 1092.

ومن شروح التلمسانية:

- "شرح الأرجوزة التلمسانية في الفرائض".

لأبي الحسن العصنوني المغيلي¹⁴.

2. "الجواهر المكنونة في صدف الفرائض المسنونة"

للفقيه الحيسوبي أحمد بن سليمان الجزولي ثم الرسموكي.

والتي جاء فيها:

وما قصدت نظمه هنا كمل

على مهمات الفرائض اشتمل

سميته الجواهر المكنونة

في صدف الفرائض المسنونة

ومن شروح المنظومة:

- "إيضاح الأسرار المصونة في الجواهر المكنونة في صدف الفرائض
المسنونة"¹⁵

ومن أرجوزات المعاصرين في علم المواريث:

3. "تحفة الطلاب في عالم الفرائض المهاب".

لمحمد التاويل أستاذ الفقه والأصول بجامع القرويين:

يقول عبد ربه الجليل

محمد بن قاسم التاويل

وقد وضعت رجزا يزدهر

بفهمه وبالحلول يزخر

سميته بتحفة الطلاب

في عالم الفرائض المهاب

شرحها ناظمها بشرح سماه:

- "اللباب في شرح تحفة الطلاب"¹⁶

ومن المنظومات الفقهية التي جمعت أحكام القضاء:

¹⁴ - رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في الأحوال الشخصية وفقه التبرعات بكلية الشريعة بفاس، إعداد الطالب الباحث عبد الله زكاع. إشراف الدكتور محمد سلامة سنة 1418 - 1419 / 1997 - 1998.

¹⁵ - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. سنة 1045 هـ.

¹⁶ - مطبوع بمطبعة أنفو - يرانت. فاس. المغرب سنة 2003.

1. "تحفة الحكام فيما يلزم القضاة من الأحكام في مذهب مالك بن أنس (ض)".

لابن عاصم الأندلسي (ت 829) والتي استهلها بقوله:

وبعد، فالقصد بهذا الرجز
سميته بتحفة الحكام
تقرير الأحكام بلفظ موجز
في نكت العقود والأحكام
وعلى التحفة شروح:

- "شرح ابن الناظم لتحفة والده ابن عاصم" ¹⁷.

لأبي يحيى بن عاصم (ت بعد 857).

- "وشي المعاصم في شرح تحفة ابن عاصم" ¹⁸.

لأحمد بن عبد الله اليزناسي العبد لوادي التلمساني (ت 975).

- "شرح الزياتي على التحفة".

لعبد العزيز بن علي بن يوسف الزياتي (ت 1055).

- الإتيقان والإحكام في شرح تحفة الحكام.

لميارة الفاسي (ت 1072).

- حاشية أبي علي بن رحال المعداني على التحفة" ¹⁹.

لأبي علي بن رحال المعداني (ت 1140).

- "غاية الحكام في شرح تحفة الحكام" ²⁰.

لأبي حفص عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف الفاسي (ت 1188).

- "حلى المعاصم لبنت فكر ابن عاصم".

لأبي عبد الله محمد التاودي بن سودة (ت 1209).

¹⁷- دراسة وتحقيق الطالبة الباحثة وفاء سلامة، إشراف الدكتور أحمد الغازي الحسيني. أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الشريعة بفاس المغرب سنة 1420 - 1999.

¹⁸- أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه في الشريعة بكلية الشريعة بفاس. دراسة وتحقيق الطالب الباحث مرزوق آيت الحاج. إشراف الدكتور مزيان حدو بناصر. سنة 1422 - 2001.

¹⁹- ضبط وتصحيح عبد اللطيف حسن عبد الرحمن. دار الكتب العلمية بيروت. طبعة 1/ 1420 - 2000.

²⁰- مخطوط الخزانة الملكية تحت رقم 3877.

- "شرح مختصر تحفة الحكام"²¹.
- لعبد السلام بن عبد الله حركات السلوي (ت 1230).
- "البهجة في شرح التحفة".
- لأبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي (ت 1258).
- "شرح السلاوي التطواني على التحفة".
- لأبي بكر بن محمد السلاوي التطواني (ت 1337).
- "تنوير الأفهام بختم تحفة الحكام"
- لأحمد سكيرج (ت 1363).
- "شرح السجلماسي على التحفة"²².
- لمحمد بن عمرو السجلماسي.
- "حصول الألفة لطلاب التحفة"²³.
- لأحمد بن محمد بن الحسن الرهوني التطواني.
- "حاشية المهدي الوزاني على شرح التاودي على تحفة الحكام"²⁴.
- لمحمد المهدي الوزاني.
- "تعليق المكناسي على التحفة"²⁵.
- لمحمد عبد السلام الطاهري المكناسي.
- "توضيح الأحكام على تحفة الحكام"²⁶.
- لعثمان التوزري الزبيدي.
- "المنحة المودودة على تحفة ابن عاصم وشرح ابن سودة"²⁷.

²¹ - مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 2043.

²² - مخطوط الخزانة الملكية تحت رقم 8040.

²³ - مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2157.

²⁴ - طبعت على الحجر بفاس سنة 1315 هـ.

²⁵ - مخطوط الخزانة الملكية تحت رقم 12124.

²⁶ - طبع سنة 1331 بالمطبعة التونسية.

²⁷ - مطبعة حجازي بالقاهرة سنة 1354 - 1963.

لعبد القادر الحسيني الكربلائي.

هذا، وقد ترجمت العاصمية إلى اللغة الفرنسية²⁸.

كما نظم محمد الحمادي:

"منظومة في ترتيب أبواب تحفة ابن عاصم"²⁹.

2. "تحفة الحكام بمسائل التداعي والأحكام" المعروفة بلامية الزقاق

(ت 911). وعلى المنظومة شروح عديدة بعضها مطبوع والآخر مخطوط³⁰ منها:

- "فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق"³¹.

لميارة الفاسي (ت 1072).

- تحفة الحذاق بشرح لامية الزقاق".

لابن يوسف الفاسي (ت 1188).

- "تلخيص الحذاق على نظم لامية الزقاق"

لأحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 1334).

- "حاذي الرفاق إلى فهم لامية الزقاق".

للرهوني التطواني (ت 1373).

هذا، وقد ترجمت اللامية إلى اللغة الفرنسية³².

ومن منظومات المعاصرين في كل الأبواب الفقهية المعروفة:

1. "التحفة المرضية لنظم القوانين الفقهية"³³.

²⁸ - « tuhfat d'ibn acem » bercher alger, 1958.

²⁹ - كشف الكتب المخطوطة بالخرانة الحسينية ص: 436.

³⁰ - فتح العليم الخلاق في شرح لامية الزقاق ص: 21.

³¹ - تحقيق الدكتور رشيد البكاري. دار الرشد الحديثة. الدار البيضاء. المغرب ط / 1429 - 2008.

³² - LA Lamiya, AL ZAKKàK. Preface de L- Milliot, Casablanca, Maroc, 1927.

³³ - مكتبة دار الزمان. المدينة المنورة. ط 1 / 1424 - 2003.

للمرابط بن محفوظ الأنصاري الشنقيطي الذي قال فيها:

هذا وإنني قد أردت نظم ما	جاء به الحبر كبير العلماء
مما أتت به القوانين التي	جاءت بدر مستساغ مثبت
لابن جزي العالم النحرير	ذي الفهم والذكاء والتحرير
فيما يخص مذهب الإمام	مالك النجم على الأعلام
أعني من المسائل الفقيهه	كالصوم والصلاة والأقضية
سميته بالتحفة المرضيه	لنظم ذي القوانين الفقيهه

2. "الألفية الفقهية على مذهب السادة المالكية"³⁴.

للمبروك بن علي زيد الخير.

قال ناظمها:

وهذه منظومة مختصرة	حاوية لألأنا معتبره
جمعت فيها الدرر المفيدة	بالمزج بين الفقه والعقيدة
مستأنسا بإرثنا المبارك	وأخذا بما أتى عن مالك

ومن المنظومات الفقهية المتعلقة بالعمل:

1. "العمل الفاسي".

لعبد الرحمن الفاسي (ت 1091) الذي قال في منظومته:

وبعد فالقصد بذا النظام	بعض مسائل من الأحكام
جرى بها ليرفع الخلاف	عمل فاس يتبع الأعراف
مما وجدناه لك من الثقات	من العدول ومن القضاة

³⁴- دار ابن حزم، بيروت. ط 1 / 1424 - 2006.

وبعضها من المؤلفات
وعلى منظومة شروح:

- "شرح العمل الفاسي"³⁵.
- لعبد القادر الفاسي.
- "شرح العمل الفاسي"³⁶.
- للسجلماسي.

- "الأليات الفاشية في شرح العمليات الفاسية"³⁷.
- لأبي سعيد العميري.
- 2. "العمل المطلق"³⁸

لأبي عبد الله محمد بن أبي القاسم الفيلاي.
قال في خاتمته:

قد انتهى بعون رب وكمل
نظم المهم من مسائل العمل
ومن منظومات فقهاء الغرب الإسلامي في القواعد والنظائر الفقهية:
1. "المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب".

للزقاق (ت 912) الذي جاء فيه:

وبعد فالقصد بهذا الرجز
نظم قواعد بلفظ موجز
مما انتمى إلى الإمام ابن أنس
وصحبة وما لديهم من أنس
سميته بالمنهج المنتخب
إلى أصول عزيز للمذهب
وعلى المنظومة شروح:

- "شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب".

للمنجور (ت 955).

³⁵ - مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 2093 / د.

³⁶ - مطبوع على الحجر بفاس.

³⁷ - مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 1170 / ك.

³⁸ - مطبوع على الحجر بفاس.

- "بيان فكر المهج في تكميل المنهج المنتخب".

لميارة الفاسي (ت 1072)، وهو نظم أكمل فيه نظم الزقاق ثم شرحه بشرح سماه:
"الروض المبهج بشرح بيان فكر المهج في تكميل المنهج"³⁹.

- "حل ألفاظ نظم بيان فكر المهج في تكميل المنهج"⁴⁰.

لزين العابدين ولد الجامد اليدالي (ت 1358).

- "شفاء الغليل من ظمأ العليل شرح المنهج المنتخب"⁴¹.

لمحمد بن علي اليعقوبي السوسي (ت 1296).

- "الإسعاف بالطلب مختصر شرح المنهج المنتخب"⁴².

لأبي القاسم بن محمد بن أحمد التواتي.

- "إعداد المهج للاستفادة من المنهج"⁴³.

لمحمد الأمين بن أحمد زيدان.

2. "نظائر الرسالة".

لابن غازي المكناسي (ت 919) والتي جاء فيها:

قال ابن غازي واسمه محمد	الله ربي الكريم أحمد
مصليا على النبي المجتبا	وآله وتابعيه النجبا
وأستعين الله في مقالته	تحوي نظائرا من الرسالة
شرحها الحطاب بشرح سماه:	

- "تحرير المقالة على نظائر الرسالة"⁴⁴.

3. "النور المقتبس في قواعد مالك بن أنس"⁴⁵.

³⁹ - تحقيق عبد الواسع الشامي، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء. المغرب. كما تم تحقيقه بالجزائر.

⁴⁰ - تحقيق محمد ولد حامدن ولد الغزالي بإشراف الدكتور إدريس الزعري. كلية الشريعة - فاس، المغرب سنة 1432 - 2011. والذي كان لي شرف العضوية بلجنة مناقشته.

⁴¹ - تحقيق الدكتور عبد المنعم حميتي، كلية الشريعة - أكادير، المغرب.

⁴² - دار الحكمة، طرابلس ليبيا سنة 1997.

⁴³ - دار إحياء التراث الإسلامي، قطر سنة 1983 تحقيق أحمد بن محمد الأمين الجكني الشنقيطي. دار الفكر، بيروت.

⁴⁴ - دراسة وتحقيق الدكتور أحمد سحنون، مطبعة فضالة المحمدية. المغرب سنة 1409 - 1988.

⁴⁵ - مخطوط.

لمحمد عبد الواحد الونشريسي (ت 955).

شرحه المنجور (ت 995). بشرح سماه:

- "شرح المقتبس من قواعد مالك بن أنس".

4. "اليواقيت الثمينة فيما انتمى لعالم المدينة في القواعد والنظائر الفقهية".

لأبي الحسن علي بن عبد الواحد بن محمد السجلماسي (ت 1057).

قال علي وهو ذو أنصار	أي ابن عبد الواحد الأنصاري
هذا وإن لي حبيباً يرغب	نظم نظائر حواها المذهب
في رجز مهذب الفصول	مؤسس الفروع بالأصول
سميتها اليواقيت الثمينة	فيما انتمى لعالم المدينة
من القواعد ومن فرائد	من النظائر مع القواعد

وقد شرحها أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي (ت 1214) بشرح سماه:

- "شرح اليواقيت الثمينة فيما انتمى لعالم المدينة في القواعد والنظائر والفوائد الفقهية"⁴⁶.

5. "منظومة في النظائر الفقهية"⁴⁷.

لعبد السلام بن الطيب القادري الحسني الفاسي (ت 1110).

6. "نظم قواعد الإمام مالك"⁴⁸.

لمحمد بن عبد الرحمن المكناسي.

وهكذا يتجلى لنا بوضوح سبق المدرسة الفقهية المالكية، الأندلسية المغربية إلى استعمال النظم التعليمي في الفقه وعلو كعبهم فيه؛ وإثراء المكتبة الإسلامية بعدد كثير من هذه المنظومات التي عملت على حفظ الفقه المالكي وتقريبه من الدارسين.

⁴⁶ - دراسة وتحقيق عبد الباقي بدوي. مكتبة الرشد. الرياض السعودية. ط 1 / 1425 - 2004. وحققها كذلك بالمغرب الدكتور كمال بلحركة.

⁴⁷ - مخطوط الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 7245.

⁴⁸ - مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم 3245 والخزانة العامة بتطوان رقم 5074.

وقد اشتهرت في هذا الصدد منظومة ابن عاشر، وتحفة ابن عاصم والمنهج المنتخب للزقاق والتي شرحت بشروح عديدة وتمت ترجمتها إلى اللغة الفرنسية. و كما أن عددا من هذه المنظومات الفقهية عرف النور وأخرج في ثوب جديد؛ فلا زال عدد منها مخطوطا في انتظار التحقيق والتعليق...